الجواري في مكة قبل الإسلام

م.د. علي قاسم جابر العلياوي
المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان

الملخص:

يتناول هذا البحث (الجواري في مكة قبل الإسلام) وقد حاول الباحث قدر الإمكان أن يسلط الضوء على هذه الشريحة الاجتماعية ودورها في رسم بعض ملامح تاريخ مكة قبل الإسلام ، من خلال بيان طبيعة أوضاعها ، والأعراق التي تنحدر منها ، وموقف المجتمع المكي تجاهها لا سيما وإن مكة كانت تعج بأعداد كبيرة من الجواري تملكهن أسياد مكة نتيجة لما حققوه من ثراء ، ثم بيان دور هذه الشريحة في الحياة العامة من خلال الوظائف المتعددة التي كانت تقوم بها ، وتوضيح بشكل تفصيلي أثرها في المجتمع المكي في مجالات اللغة والعادات والتقاليد والدين والحياة الأسرية والقيم الاجتماعية.

المقدمة :

يظل تاريخ مكة المكرمة زاخراً بالعطاء ، فهو معين لا ينضب ومادة لا تنتهي لمن أراد أن يبحث في هذا المجال ، والتاريخ الاجتماعي لهذه المدينة المقدسة سواء قبل الإسلام أم بعده ، قد حضي باهتمام بعض الباحثين ، بيد أن هذا الاهتمام قد انصب على دراسة الجوانب الاجتماعية البارزة ، كون المصادر تقدم مادة لا بأس بها بهذا الخصوص ،إلا أن تلك المصادر قد أغفلت عنصراً أساسياً من عناصر المجتمع المكي وهو طبقة الرقيق (الجواري والعبيد) ودورها في الحياة العامة ، وإن كان هناك ذكرُ لها فهو لا يتعدى إشارات هنا وهناك بين ثنايا تلك المصادر، وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لطبقة برمتها فما هو ظنك بشريحة محددة منها وهي شريحة الجواري ، ومع ذلك فأن هذا لا ينفي حقيقة إسهام الجواري بشكل أو بآخر في تاريخ مكة قبل الإسلام شأنها شأن طبقات المجتمع الأخرى ، لذلك آثرنا أن نسلط الضوء قدر الإمكان على هذا الجانب من تاريخ مكة الاجتماعي ، محاولين بذلك الكشف عن العوامل التي ساعدت أهل مكة على استخدام أعداد كبيرة من الجواري ،والمصادر التي يحصلون من خلالها على هذا النوع من الرقيق، ثم بيان أوضاع الجواري في مكة قبل الإسلام ونظرة المجتمع لهن ، وتوضيح دورهن في الحياة العامة بكل مرافقها وبيان أثرهن في المجتمع المكي ، ولقد حاولنا قدر

وسعنا استقصاء جوانب الموضوع من خلال تتبع وجمع ما تناثر عنه في المصادر المختلفة ، وجاءت فقراته وفق ما تيسر من مادة علمية على النحو الآتي :

أولاً : ثراء أهل مكة وأثره في اقتناء الجواري :

لم يكن أهل مكة بدعاً من الأمم في اقتناء الجواري والعبيد ، فهذه الظاهرة قديمة تمتد جذورها في أعماق التاريخ وتعود إلى حقب سحيقة في تاريخ البشرية [1] غير أن الثراء الذي وصل إليه أهل مكة ، لاسيما منذ منتصف القرن الخامس الميلادي عندما أصبحت مكة- في عهد قصي- [2] مدينة لها كيانها السياسي والاقتصادي والديني المستقل ، قد لعب دوراً كبيراً في هذا المجال ، إذ أصبحت مكة مركزاً تجارياً يهيمن على التجارة العربية برمتها[3] ، إذ احتكروا تجارة اليمن وما كان يصل إليها من الهند والحبشة[4]، واندفعوا بتجارتهم نحو الشمال إلى بلاد الشام [5]، بعد أن سعوا إلى إقامة علاقات طيبة مع مختلف القوى آنذاك ، وعقدوا معها اتفاقيات لتأمين تجارتهم التي عبر عنها القران الكريم بـ" إيلاف قريش" في قوله تعالى :(**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)** [6] أضف إلى ذلك ما كان للحج من أثر كبير في تطور هذه التجارة [7] ، ولم تكن تلك التجارة مقتصرة على فئة معينة من قريش ، بل كانت تعبر عن آمال مدينة بأكملها ، حتى قيل إن قافلة قريش التي اعترضها المسلمون في غزوة بدر " كانت فيها أموال عظام ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعثه في العير ، حتى أن المرأة لتبعث بالشيء التافه "[8] ولم تقتصر مصادر الثراء في مكة على التجارة فقط ، فقد كانت مكة تفرض ضريبة على العرب الذين يفدون إليها تسمى (الحريم) [9] ، كما كانت تستوفي العشور من الجاليات والتجار الأجانب [10] .

وبفضل مصادر التمويل تلك أصبحت مكة تنعم بالثراء ،حتى شبهها بعض الباحثين بالجمهورية التجارية (Merchnt Republic) [11]،وفي ظل هذه الأوضاع بدأت بيوت من بطون قريش وبعض الأفراد يجمعون ثروات طائلة ، وبدأ ذلك يظهر جلياً على مظاهر حياتهم ،حتى صنفهم اليعقوبي في مراتب أعلى من آل جفنة ملوك الغساسنة[12] ،وذهب الجاحظ ابعد من ذلك عندما فضلهم على ملوك فارس قائلاً : " فاذكر سادات قريش فإنهم فوق كسرى وال كسرى"[13] ، وبدأت مظاهر الثراء تدب إليهم ، فعبد الله بن جدعان[14] لقب بحاسي الذهب لأنه كان يحتسي الشراب بأواني الذهب [15] ، وتحدث ابن

حبيب عن دور الضيافة لبعض المكيين وما كان يقدم بها من ألوان الطعام [16]، وكانت تباع في أسواقهم الحلي والثياب التي تصل قيمة الواحد منها إلى خمسين دينار [17] ، وهذا يدل على الثراء الفاحش الذي وصل إليه بعض رجالات مكة ، لذلك نجد في القران الكريم الكثير من الآيات الشريفة التي خاطبتهم بألفاظ تحاكي واقعهم ومعارفهم [18]،ولعل هذا يعني أن حياة أهل مكة بفضل التجارة كانت فارهة قياسا إلى المجتمعات القبلية الأخرى في الجزيرة العربية ، ولما كان اقتناء العبيد والجواري يمثل مظهرا اجتماعيا مميزاً وفق مقاسات ذلك الزمان [19] ،لذلك اتجهوا لشراء الرقيق بإعداد كبيرة ، أضف إلى ذلك أن انشغالهم بتجارتهم الواسعة جعلهم بأمس الحاجة إلى من يقوم على خدمتهم وتسيير أمورهم [20] ، وإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة المجتمع المكي الذي كان مولعا بالشرب والسمر والمنادمة [21] لذلك فانه كان يحتاج إلى أعداد من الجواري البيض والسود على السواء للخدمة والتسلية وإرضاء الشهوات [22] ،بيد أنه لم يقتصر الأمر على هذا الحد ، بل استثمرت الجواري كسلعة تجارية لتحقيق مكاسب مادية ، وهذا ما سيكشفه سياق البحث ، وبذلك فقد لعب الثراء والموارد المالية المتاحة دوراً كبيراً في دفع المكيين إلى شراء الجواري والعبيد على حد سواء ،حتى أصبحت مكة تعج بإعداد كبيرة منهم ، وتملك سادة مكة أعداداً لا يستهان بها منهم ، حتى قيل " أعتقت هند بنت عبد المطلب[23] في يوم ، واحد وأربعين رقبة " [24]، وكذلك فعل سعيد بن العاص [25] عندما اعتق مائة عبد في يوم واحد[26] .

ثانياً : مصادر وأجناس الجواري :

اعتاد العرب على أن يحصلوا على الجواري من مصدرين أساسيين ، الأول هو الحروب وما ينتج عنها من انتصار قبيلة بعينها على أخرى وهزيمتها ومن ثم سبي نسائها وتحويلهن إلى جواري ،فأما أن يفتدين بمبلغ من المال ، أو يبقين في قبضة المنتصر إن شاء تملكهن وإن شاء باعهن في سوق النخاسين [27]،لا سيما في مكة إذ كانت من بين أسواق الرقيق المهمة التي يقصدها العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية ليبيعوا فيه ما سبوه في حروبهم[28] ،وقد ذكر الفاكهي إن بمكة سوقاً خاصاً لبيع الرقيق [29] ،حتى صرنا نقرأ عن جواري من أصول عربية اشتراهن بعض شخصيات قريش وأنجبن لهم أولاداً[30] ، ويبدو إن أعداد السبايا عند العرب قبل الإسلام كانت كبيرة جداً ، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما تولى الخلافة استهجن ذلك قائلاً : " إنه لقبيح

بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ... واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام ، إلا امرأة ولدت لسيدها ، فجعل فداء لكل إنسان ستة أبعرة أو سبعة ... فتتبع النساء بكل مكان ففدوهن "[31] ، وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو هل كانت قريش تحصل على سبايا من خلال الحروب؟ على اعتبار إنها خاضت سلسلة من الحروب ضد بعض القبائل العربية [32] ،اللافت للنظر أن المصادر المتاحة لم تصرح بان قريش كانت تحصل على السبايا من خلال الحروب ،إذا استثنينا إشارة ياقوت الحموي التي يغلب عليها التعميم والطابع الأدبي عندما تحدث عن حرم مكة قائلاً :" وكان أهله آمنون يغزون الناس ولا يغزون ويَسبون ولا يُسبون ولم تسب قرشية قط" [33] ، بل على العكس نجد نصوصاً تشير إلى أن قريش كانت تكره السبي ، وهذا ما صرح به الثعالبي قائلاً : "إنهم من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشدد في الدين ، فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الأموال"[34] ولعل هذا الموقف يدل على إدراك زعماء قريش لموقع مكة الديني والتجاري، ففرض عليهم سياسة تقوم على الحفاظ على السلم ونشره والتزام الحياد على الصعيد العربي داخل الجزيرة العربية وعلى الصعيد الدولي مع الفرس والروم وغيرهم[35].

أما المصدر الثاني من مصادر الحصول على الجواري فهو التجارة ، إذ كانت تجارة الرقيق تجارة رائجة ونشطة وتحقق أرباحاً كبيرة ، إذ كان المتاجر بالرقيق يشتري بضاعته من الأسواق الخارجية في بلاد الشام أو سواحل أفريقيا وغيرها من المناطق ، ثم يأتي بها إلى أسواق جزيرة العرب فيبيعها في مكة أو الطائف أو يثرب [36] ، أو في سوق عكاظ [37] الذي كانت تجارة الرقيق تنشط فيه ، حتى أشارت بعض النصوص إلى أن أهل مكة كانوا يشترون الرقيق من هناك[38] .

بيد أن هذا النوع من التجارة قد جذب انتباه بعض المكيين ، فولجوه بغية تحقيق المكاسب والأرباح مثل عبد الله بن جدعان الذي وصفته بعض المصادر بالنخاس لأنه كان يتاجر بالرقيق[39]، حتى ذكر ابن الكلبي إن تلك التجارة كانت من بين المصادر التي ضاعفت رأس ماله [40].

أما الأعراق التي تنحدر منها الجواري ، فقد اشرنا قبل قليل إلى أن هناك إشارات عن جواري من أصول عربية ، إلا أن اغلب الجواري كنّ من قوميات وأصول مختلفة ، لعل في مقدمتها الحبشية (الجواري السود) إذ أفرد ابن الكلبي عنواناً في كتابه عدد فيه أبناء الحبشيات من قريش [41] ،وكذلك فعل ابن حبيب عندما قدم قائمة بأسماء القرشيين من

أمهات حبشية [42] ، وكانت هناك الجواري البيض وهي أما من أصول رومية ، وفق ما جاء في قائمة ابن الكلبي التي عدد فيها أسماء القرشيين من أمهات رومية [43] مشفوعة بالإشارات المبثوثة في كتب النسب وغيرها من الكتب عن رجال قرشيين أمهاتهم جوارٍ رومية [44]، يضاف إلى ذلك الإشارات التي لم تقترن بولادة القرشيين ،بل ذكرت تلك الجواري بشكل مباشر [45] ، أو أصول فارسية حسب بعض الإشارات التي وردتنا في بعض المصادر [46] ، كما تفرد ابن الكلبي بذكر إشارات عن جوارٍ سنديات ونبطيات [47].

ثالثاً: أوضاع الجواري في مكة :

كانت الجواري تشكل جزءاً أساسياً من طبقة كبيرة في المجتمع المكي قبل الإسلام وهي طبقة الرقيق ، وأسوء ما في أوضاع هذه الطبقة أنها مملوكة للسادة والأثرياء، ولا تملك أي شيء على الإطلاق ، ولا حتى أمر نفسها ، فليس لها حقوق مادية أو معنوية أوحقوق اجتماعية أو سياسية[48] ، ويعمل هؤلاء بقوت يومهم ، أي بمأكلهم وملبسهم ومسكنهم مقابل الأعمال العديدة الملقاة على عاتقهم[49] ،لذلك لم تنل الجارية في المجتمع المكي حظاً عاليا من الاحترام والتقدير ،بالرغم من كل الأعمال والخدمات التي كانت تقدمها لذلك المجتمع ، بل على العكس فقد انحطت مكانتها كثيراً ، ويتجلى ذلك بعدة مظاهر ، منها أنها كانت تعامل وكأنها سلعة صماء متى ما ضاقت الأمور على مالكها باعها لفك ضيقه [50] حتى وإن ولدت له وأصبحت أما لأولاده [51] ، أو تقدم هدية لشاعر أجاد في مدح سيدها ، كما فعل عبدالله بن جدعان عندما أهدى جاريتيه للشاعر أمية بن أبي الصلت [52] بعد أن مدحه بقصيدة حضيت بإعجابه [53] ، أو تقدم كفدية مقابل إطلاق سراح أسير [54] ، كما كانت وسيلة من وسائل المتعة الرخيصة ، ورغم ذلك لم تحض بالإنصاف من قبل سيدها ، فكان البعض يطأ جاريته ، حتى إذا ولدت أنكر ولدها ، وبقيت هذه الحالة حتى جاء الإسلام وألزمهم بالولد[55] ، بل وفي بعض الأحيان يتجاوز أكثر من ذلك عندما كان يقاربها حتى بعد بيعها لشخص آخر ، وقد نهى عن ذلك الإسلام أيضا وفرض على ذلك العقوبة [56] كما امتهنت كرامة الكثير منهن عندما كنّ يوضعنّ في المواخير [57] وتوضع عليها الرايات ويطلب منهنّ أن لا يردنّ يد لامس ، مقابل الأجر الذي يحصل عليه مالكهنّ[58] ،وكانت الجارية تورث شانها شان المتاع ، حتى ذكر ابن سعد إن الرسول﴿ ﷺ﴾ قد ورث أم أيمن [59] من أبيه ، إذ قال : " إن أم أيمن وأسمها بركة ، كانت لأبي رسول الله فورثها رسول الله فاعتقها"[60] ،لذلك انحدرت مكانة الجارية

كثيراً ونظر إليها المجتمع نظرة دونية ، وكان البعض يرى أنها لا تستحق حتى المزاح ، لذلك قالوا في أمثالهم " لا تمازح أمه ولا تبل على أكمة "[61]، كما كانت تعامل معاملة قاسية لأتفه الأسباب ، لذلك وجد بعض الجواري في الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف ما يخفف عنهنّ ، فاعتنقن الإسلام ، وحسبنا أن نشير إلى القائمة التي قدمتها بعض المصادر بأسماء الجواري في مكة ، واللاتي كنّ يعذبنّ على يد المشركين [62] بسبب اعتناقهن الدين الجديد الذي دعا نبيه إلى الرأفة بهنّ والإحسان إليهنّ [63] .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن تلك المعاملة للجواري تمثل النهج العام السائد في المجتمع ، وهو لا ينفي وجود بعض الإشارات التي تدل على مراعاة الجانب الإنساني في التعامل مع الجواري وعتق البعض منهن ، وقد ذكرنا قبل قليل كيف أن الرسول﴿ ﷺ﴾ اعتق جاريته أم أيمن التي ورثها من أبيه ، وأن هالة بنت عبد الدار [64] قد أعتقت جاريتها [65] ،وكذلك فعل أبو لهب عم الرسول ﴿ ﷺ﴾ عندما بشرته إحدى جواريه بمولد الرسول الكريم [66] .

رابعاً: دور الجواري في الحياة العامة :

لم يقتصر دور الجواري على نمط معين من العمل ، بل تعددت الوظائف والأعمال التي كن يقمن بها ، وقد توحي بعض النصوص التي بين أيدينا بأن هناك شبه تخصص في العمل لبعض الجواري ،مثل جواري الغناء وجواري البغاء كما سنلاحظ بعد قليل ، ولكنه ليس تخصصاً بالمعنى الذي نفهمه ، فالذي يبدو إن هناك نوع مميز من الأعمال كانت تقوم به بعض الجواري، فورد في ثنايا الروايات والأخبار التي عثرنا عليها بأن جارية فلان مغنية أو قابلة وما شابه ذلك ، وهذا لا ينافي دورهن الأساس في أعمال الخدمة المختلفة ، وهذا ما نستشفه من أخبار جاريتي عبدالله بن جدعان المغنيتين والمعروفتين بالجرادتين، ففي الوقت الذي اشتهرتا فيه بالغناء ، فأنهما كانتا تقومان بأعمال الخدمة المختلفة لسيدهما بدليل قول أبي الفرج الأصفهاني على لسان بعض قريش مخاطبين الشاعر أمية بن أبي الصلت عندما أهداه إحدى جاريتيه المغنيتين قائلين : " لقد لقيته عليلاً فلو رددتها عليه فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها " [67] فإذن هي جارية مغنية وأيضا كانت تقوم بإعمال الخدمة المختلفة ، وعلى كل حال يمكن أن نصنف أعمال الجواري إلى الآتي :

1- أعمال الخدمة : لقد ارتبط أسم الجارية بالخدمة المنزلية على مر التاريخ[68] ، والجواري في مكة امتداداً لهذا الارتباط ، وإن كان هناك عمل ما قد تميزن به أو أبدعنّ فيه ، وعليه سنتناول هذا الموضوع بشكل مقتضب لأن الأمر لا يحتاج إلى كثير من النصوص لأثباته أو التدليل عليه ، فقد دلت الإشارات على أن الجواري كن يقمنّ بمختلف الأعمال المنزلية ، من طحن الحبوب وإعداد الطعام وتنظيف المنزل وجلب الماء ، حتى روى ابن سعد في أخبار النهدية[69] أنها كانت تطحن الطحين وتدق النوى لسيدتها ، وعندما اشتراها أبو بكر(ﷺ) طلب منها أن ترد الطحين إلى سيدتها[70] ، كما كنّ يشرفن على خدمة الضيوف وتقديم الطعام لهم[71]، وكنّ يقمن بإدامة وإصلاح مختلف مقتنيات المنزل ، إلى حد شد وإصلاح شسع نعل صاحبها[72]، وهذا يعني أن الجواري كنّ يقمنّ بمختلف الأعمال التي يحتاجها المنزل في مكة آنذاك .

2-البغاء : وهو الفجور أو الزنا مقابل الأجر [73] ،وقد قيده البعض بالجواري فقط وجعله من اختصاصهنّ[74] ، وقد ذكر ابن المجاور إن معظم الجواري كنّ يطلب منهنّ هذا العمل قائلاً :" وكذلك كان في أيام الجاهلية كل جارية لا تبذل فرجها ينكر عليها "[75]، أما بالنسبة للنساء الحرائر فأن ذلك يعد من الأمور العظيمة والمثالب الكبيرة التي تلحق العار في الأسرة والقبيلة، لذلك قضت الأعراف والقيم الاجتماعية بان لا تقربه الحرة ، حتى قيل "الزنا في قريش كان في الإماء في أغلب الأمر "[76] ،واختلفت نظرة المجتمع لهذه الظاهرة ، ففريق حرمه ونهى عن مقارفته [77] ،بينما كان الفريق الثاني لا يرى فيه عيبا ولا حرجاً [78] حتى أن ابن الكلبي قد أفرد باباً في كتابه المثالب خصصه للزناة من قريش والعرب[79] ، وأما الفريق الثالث فقد كان لا يرى فيه بأساً في السر ويستقبحه في العلن[80] .

وظاهرة استخدام الجواري في عمل البغاء كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام [81]، وقد ارتفعت أثمان الجواري الحسان لأنهنّ يجلبنّ لمالكهنّ ثروة من الفجور [82] ، وقد بقيت هذه الظاهرة حتى جاء الإسلام وحرم ذلك ، قال تعالى : **(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [83]، وقد أكد بعض المفسرين على إن هذا النص القرآني الشريف جاء لتحريم هذا البغاء [84] .

وفي مكة استخدمت بعض الجواري في هذا المجال ، إذ عمل بعض تجار مكة على استثمار جزء من أموالهم في هذا الميدان ، مستفيدين من حالة الثراء التي وصلت إليها

مكة في ذلك التاريخ بفعل التجارة ، ولا يخفى أثر الثراء في انتشار مثل هذه الممارسات، بيد أن هذا الاستثمار لم يقتصر على الأموال المتحققة من عملية البغاء ذاتها ، بل تعداه إلى بيع أولاد الجواري من ذلك البغاء ، فعبد الله بن جدعان " كان نخاساً له جواري يسافحن ويبيع أولادهن"[85] لذلك ذكر ابن الكلبي إن هذه العملية كانت من بين الأسباب التي ضاعفت ثروته[86]، ولم يقتصر الأمر على ابن جدعان ، فهناك الكثير من رجالات مكة عملوا في هذا الميدان، إذ اشتروا الجواري ووضعوهن في منازل خاصة ووضعت فوقها الرايات علامة لمن يريد أن يمارس هذا الفعل ، إذ روى الطبري في سنده عن ابن عباس قوله : " كانت بيوتٌ تسمى المواخير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهم وكانت بيوتاً معلومة للزنا" [87] ،وقدم ابن الكلبي قائمة بأسماء بعض الجواري صاحبات الرايات في مكة [88] ، إلا أن القائمة التي قدمها الطبري أكثر تفصيلاً وتخصيصاً إذ قال: " هؤلاء أصحاب الرايات [89] ، أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي[90] وأم عليط جارية صفوان بن أمية [91] وحنة القبطية جارية العاص بن وائل[92]، ومرية جارية مالك بن عميلة بن سباق بن عبد الدار[93]، وصلالة جارية سهيل بن عمرو [94] ،وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي [95] ، وسريفة جارية زمعة بن الأسود [96] ، وفرتة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب [97] ...وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر[98] " [99] ، ورغم أن هذه القائمة تناولت جواري بعض الشخصيات القرشية المعروفة ، لكنها تدل دلالة واضحة على الاستخدام الواسع للجواري في مجال البغاء من اجل تحقيق مكاسب مادية.

3- الحفافة و الماشطة (تجميل النساء): ويبدو أنهما حرفة واحدة لأنهما يتعلقان بعملٍ واحد وهو تجميل النساء ، والتجميل واحد من الأمور التي اهتمت بها النساء منذ أقدم العصور ، وتجميل النساء والعرائس من الحرف التي عرفها العرب قبل الإسلام ، وورد ذكرها في بعض النصوص ، التي ذكرت إن هناك " إمرأة يقال لها أم غيلان[100] مولاة لدوس كانت تمشط النساء وتجهز العرائس " [101]، وحرفة التجميل (الماشطة) كانت من الحرف المعروفة في مكة وقد ورد ذكرها في أخبار بعض النساء القرشيات ، فقد روي أن آمنة بنت عفان[102] أخت الخليفة عثمان بن عفان ، كانت ماشطة [103]،وكذلك الحال مع سبرة بنت صفوان [104] التي روي أنها تمارس الحرفة نفسها [105] ، لذلك لم يقتصر هذا العمل على النساء الحرائر فقط على ما يبدو ، إذ وردت إشارات عن قيام بعض الجواري بعملية تجميل النساء في مكة، فقد ذكر ابن

الكلبي في أخبار خباب بن الأرت [106] أن " أمه مولاة حفافة بمكة" [107] ، والحفافة من أعمال التجميل المعروفة بشهادة أهل اللغة [108] ، كما أشارت بعض كتب التراجم إلى ماشطة خديجة بنت خويلد وأسمتها بـــ " أم زفر[109] ماشطة خديجة وكانـــت عجـــوزاً سوداء "[110] ، إلا أن تلك الإشارات جاءت خالية من الإشارة إلى الأجر الذي تحصل عليه تلك الجواري هل يعود اليهنّ أم يذهب إلى جيوب سادتهن .

4-**ختان النساء :** ختان الذكور كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام ، بل وكانوا يـــرون عدم الإختتان عيباً كبيراً [111] ، وفي مكة كان لا يختتن غلام من غلمان قريش إلا في دار الندوة[112] ، بيد أن المصادر لم تزودنا بتفاصيل عن ختان النساء فـــي مكـــة ، إذ ليس في أيدينا ما نحكم به على تاريخ ظهور هذه الممارســـة هنـــاك ، ولعلـــه كـــان محدوداً، ولكنه ثابت من بعض النصوص التي أشارت إلى إحدى الجواري التي كانت تمارس عملية ختان النساء ، وهي أم انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهـــب الثقفـــي [113] والدة سباع بن عبد العزى [114] التي وصفتها النصوص بأنها ختانة بمكة، لذلك ناداه حمزة بن عبد المطلب يوم أحد "هلم إلي يا ابن مقطعة البضور"[115] .

5-**الغناء :** كان العرب من بين أكثر الشعوب ولعاً بالغناء واحرصهم على سماعه مـــن القيان والإماء [116]، لذلك كان الشعر الجاهلي زاخراً بأوصاف تلك الجواري ومجالس الغناء [117]، والإشارات إلى غناء الجواري في مكة قد أرجعته روايات أهل الأخبـــار لحقب قديمة , إذ ذكرت أن جاريتي معاوية بن بكر [118]كانتا من أوائل الجواري اللاتي غنين هناك [119] ، ورغم أن تلك الروايات لا يمكن الاطمئنان إليها كثيراً كونها تتناول مدة موغلة في القدم ، لكنها تبين ما ترسخ في أذهان الناس عن قدم غناء الجواري في مكة ، بيد أن ازدهار مكة وتحولها إلى مركز ديني وتجاري كبير في شـــبه الجزيـــرة العربية قد أدى إلى انتشار الغناء فيها بشكل واسع ،لا سيما في المدة التي سبقت ظهور الإسلام [120] إذ كانت معظم الروايات التي تناولت هذا الموضوع تدور حـــول غنـــاء الجواري ، والظاهر أن هناك طلباً على الجواري المغنيات في مكة والمناطق القريبـــة منها مما شجع البعض على الاتجار بهن ، وهذا ما يفهم من حديث الزمخشـــري عـــن النظر بن الحارث [121] إذ قال : " وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريش 000 وكان يشتري المغنيات " [122] ، لذلك ذهب بعض البـــاحثين إلـــى أن الجواري المغنيات " كنّ فارسيات أو يونانيات من سوريا" [123] أو ربما حبشيات [124]، وقد عمد بعض رجالات مكة إلى استثمار غناء الجواري من اجل تحقيق مكاسب مادية

واجتماعية ،فجعلوا من منازلهم أشبه ما تكون بالحانات ،وهذا ما نستشفه من نصوص عدة ، الأول ما ذكره ابن حبيب عن مقيس بن عبد قيس [125] قائلاً " كان بيته مألفاً لشباب قريش ينفقون عنده ويشربون 000وله قينتان يقال لهما أسماء وعشمة[126]"[127]، وهذا يعني أن مقيس قد جعل منزله أشبه بالحانة يشربون فيها الخمر ويستمعون الغناء وينفقون من أجل ذلك المال ،والثاني ما ذكره الواقدي في أخبار عبد الله بن خطل[128] قائلاً : " وكانت له قينتان إحداهما فرنته والأخرى أرنب [129] وكانتا فاسقتين، وكان يقول الشعر ويهجو رسول الله ،ويأمرهما أن تغنيا به ويدخل عليه وعلى قينتيه المشركون فيشربون الخمر وتغني القينتان" [130] ، والثالث ما ذكره الخوارزمي في حديثه عن بعض رجالات قريش قائلاً : " وكان لأبن جدعان دار للبغاء والشراب والسماع " [131] ، وهذا النص الأخير يدل دلالة واضحة على أن هناك حانات خاصة كان يقدم فيها الشراب وتغني فيها الجواري يقصدها شباب مكة للشرب والسماع ، وليس من المستبعد أن يكون أصحاب الجواري التي غنت المشركين قبل معركة بدر يمتلكون حانات أو منازل خاصة تغني فيها جواريهم ،فقد ذكر الواقدي أسماء تلك الجواري وأصحابهن قائلاً : " وكانت القيان سارة مولاة عمرو بن هشام [132] ومولاة كانت لأمية بن خلف [133] ومولاة يقال لها عزة للأسود بن المطلب [134] " [135] ، ومع ذلك فإن غناء الجواري في مكة لم يقتصر على الحانات أو منازل أصحابهن ، بل كن يغنين في المناسبات العامة ، وربما بأشعار حماسية ، وهذا ما نستشفه من قول أبي جهل بن هشام في غزوة بدر " لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً... ونقيم عليه ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب" [136].

6-**القبالة ورعاية الأطفال** : النساء في كل المجتمعات بأمس الحاجة إلى (قابلات) يشرفن عليهن في عملية الولادة ، حتى أن ابن خلدون سماها " صناعة التوليد" قائلاً : " وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها... وتسمى القائمة على ذلك منهنّ القابلة " [137] وقد كانت هذه المهنة موجودة في مكة ، وقد دلت النصوص على الرغم من شحتها ، على أن هناك جواري كنّ يقمنّ بعمل القبالة ، منهنّ أم رافع [138] كانت جارية لصفية بنت عبد المطلب [139] عمة الرسول﴿ ﷺ ﴾ ، وقد ذكر ابن سعد أنها كانت قابلة لخديجة بنت خويلد زوج الرسول﴿ ﷺ ﴾ [140] ، وكانت قابلة أولاد الإمام علي (عليه السلام) ، وهي التي قبلت مارية القبطية[141] حينما ولدت إبراهيم ابن النبي﴿ ﷺ ﴾ [142] ، ومنهن أيضا أم

أنمار التي مر ذكرها في ختان النساء ، فقد ذكر ابن حبيب [143] وأبو الفرج الأصفهاني [144] أنها من جواري مكة ، وذكر البلاذري أنها كانت تقبل النساء قائلاً : " وكان سباع يكنى أبا نيار وكانت أمه قابلة بمكة " [145] ، ولعل هذا النص يشير إلى أن تلك الجارية كانت تقوم بوظيفتين صحيتين هما ختان النساء وتقبيل النساء.

وبالإضافة إلى عمل القابلة كان بعض الجواري يقمنّ بعملية الرضاعة لبعض الأطفال، إلا أن المصادر لم تسلط الضوء على هذا الموضوع ، ربما لكونه من الأمور الطبيعية المعروفة ، إلا على جارية واحدة وهي ثويبة [146] كونها أرضعت الرسول﴿ ﷺ﴾ قبل أن ترضعه حليمة السعدية [147] ، فقد ذكر ابن سعد " أن أول من أرضع رسول الله﴿ ﷺ﴾ ثويبة بلبن إبن لها يقال له مسروح [148] أياماً قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي [149] " [150] ،ويروى أنها أرضعت جعفر بن أبي طالب [151] حسب ما ذكر اليعقوبي[152].

أما حضانة الأطفال فهو عمل مكمل للرضاعة ، إلا ان دورها يظهر جلياً بعد فطام الطفل ، إذ يبدو أن الجواري هنّ من كن يقمنّ بهذه الوظيفة ، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا لم تسعفنا بالشواهد الكافية ، إلا انه يمكن أن نستدل على ذلك من إشارتين ، الأولى ذكرها البلاذري في نسب بني سعد بن لؤي [153] أنه يقال لهم بنانة ، معللاً سبب هذا الأسم بقوله : " ويقال هي أمة حضنت عليهم فنسبوا إليها وليس بأمهم " [154] ،إلا أن الإشارة الأوضح تردنا من سيرة الرسول﴿ ﷺ﴾ ، إذ ذكرت بعض المصادر أن " أم أيمن وأسمها بركة مولاة الرسول وحاضنته ... وكان رسول﴿ ﷺ﴾ الله ورثها من أبيه"[155] وكونه ورثها من أبيه فهذا يعني أنها كانت تقوم بمختلف أعمال الخدمة إضافة إلى حضانة الأطفال ، ولعل هذا يعضد ما ذهبنا إليه وهو قيام الجواري برعاية وحضانة الأطفال كجزء من أعمال الخدمة التي يقمن بها داخل المنزل .

خامساً : أثر الجواري في المجتمع المكي :

شكلت الجواري جزءاً أساسياً من طبقة اجتماعية كبيرة في مكة قبل الإسلام ، وهي طبقة الرقيق ، إلا أن أخبار هذه الطبقة لم تحض باهتمام الرواة والإخباريين العرب ، بيد أن ذلك لا ينفي حقيقة أثر هذه الطبقة في المجتمع المكي ، وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين, ومنهم جواد علي بقوله : " والإخباريين الذين هم مرجعنا الوحيد في رواية أيام الجاهلية قبل الإسلام وإن لم يحدثونا عن أمر هؤلاء القوم ... نستطيع بالاعتماد على نقد

بعض النتف من رواياتهم أن نصل إلى هذه النتيجة التي هي شيء طبيعي وأمر ليس بغريب ، نتيجة تقول أن هذه البضاعة تركت في نفوس أهل مكة وفي نفوس العرب الآخرين ممن كان لهم رقيق أثراً ليس إلى إنكاره من سبيل " [156] ،ولعل هذا الرأي لم يجانب الحقيقة ، إذ يمكننا من خلال تتبع بعض النصوص التي حوت أخبار بعض الجواري ، وإن كانت شحيحة ، أن نلمس الأثر الذي تركته الجواري في المجتمع المكي ، إذ يبدو أن بعض هؤلاء الجواري كن في صورة حياة أخرى غير الصورة العربية ، وأنهن أخذن يدخلن هذه الصورة في دور مكة ، ولعل في مقدمتها اللغة ، فالجواري من غير المولدات [157] كن ينحدرن من بلدان مختلفة ، وأصول متعددة ، وثقافات وديانات متنوعة ، وأول ما يحملنّ معهن لغتهن الأم ومصطلحاتها التي أخذت تنتقل إلى اللغة العربية على شكل مفردات فارسية ورومية وحبشية [158] ، وتكاد تندر النصوص عن الكيفية التي تتعلم بها الجواري اللغة العربية ، فهل كن يتعلمن العربية قبل جلبهن إلى مكة، أم أن ذلك يترك للاحتكاك بالمجتمع الذي هو كفيل بذلك؟ بيد أن هناك إشارات تشير إلى أن جواري الغناء كن يغنين بلغتهن الأم ، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني أن بعض الجواري كن يغنين بالرومية والفارسية [159] ،وذكر العمري أن عبدالله بن جدعان قد استمع إلى غناء الجواري بالفارسية عند كسرى ملك فارس ، وغنى ببعض ما سمع من ذلك الغناء ، إذ قال : " وكان قد أتى كسرى ملك آل ساسان وسمع عنده غناء الحسان وشدا جانبا مما سمع " [160] لذلك يعتقد بعض المستشرقين إن غناء الجواري عند العرب كان " بلسانهن الفارسي أو اليوناني "[161] ويؤيد ذلك جواد علي قائلا" : "فلم يكن من المستبعد سماع غناء أجنبي في موضع مثل مكة أو يثرب لوجود رقيق فيه " [162] ، ويفسر أحد الباحثين ذلك بقوله : " ولا عجب في أن يسمع العربي غناء بلغة غير لغته ويطرب له لأنه يطرب للصوت واللحن ويعجب بجمال المغنية "[163] وهذا يعني أن المجتمع كان يستمع إلى لغة أجنبيه من خلال الغناء ، وليس من المستبعد أن يقوم بعض الأفراد بترديد بعض المفردات أو ربما مقاطع غنائية إذا أعجبهم لحنها ، فيكون ذلك الغناء من البوابات التي دخلت من خلالها المفردات الأجنبية إلى اللغة العربية ، أضف إلى ذلك أن الجارية تبقى تحتفظ بلغتها الأصلية وتستخدم مفرداتها حتى وان تعلمت العربية ، ولما كان الجواري يؤدين أعمالاً مختلفة في إطار المجتمع المكي لذلك يبدو أن المفردات الأجنبية بدأت تدخل اللغة العربية، وقد تنبه إلى لذلك أهل مكة وأدركوا مدى الأثر اللغوي الذي تتركه الجواري على لغة أولادهم ، إذ أن بعضاً منهن يقمن برضاعة وحضانة

الأطفال ، كما أشرنا من قبل ، ولعل ذلك يعني أن الطفل الصغير سيأخذ بعض المفردات الأجنبية من حاضنته ، وربما كان ذلك من الأسباب التي دفعت أهل مكة إلى إرسال أطفالهم إلى الصحراء لغرض تعلم اللغة العربية الفصيحة [164] .

ولم يقتصر الأمر على الأثر اللغوي كما يبدو ، إذ إن الأفكار والمعتقدات الدينية كانت من بين الأمور التي تحملها الجواري معها ، وصحيح أن الجواري يعتنقن ديانات متعددة لكن يبدو أن المسيحية هي الأكثر من بينها ، ونستشف ذلك من بعض المصادر التي قدمت قائمتين بأسماء القرشيين الذين أمهاتهم جواري نصرانية ، الأولى قائمة ابن الكلبي[165] والثانية قائمة ابن حبيب البغدادي [166] ولعل أقل ما يعنيه ذلك أن هناك صورة واضحة عند المجتمع المكي عن الديانة المسيحية والديانات الأخرى .

وبالإضافة إلى اللغة والدين فإن الجواري كنّ يحملن معهن عادات وتقاليد المجتمع الذي نشأن فيه ، بل وحتى طرق تحضير بعض أنواع الطعام ، فقد ذكر الزمخشري أن جارية لعبد الله بن جدعان هي أول من صنعت "الفالوذ" [167] في بلاد العرب إذ قال : " وفد على كسرى فأكرم مثواه وأطعمه بين يديه ثم أمره برفع الحوائج فقال جارية تعمل لي ما أكلت عند الملك فأمر له بجارية وألطاف وانصرف إلى مكة ، فاتخذ فالوذا كثيراً أطعم الناس منه وهو أول فالوذ عمل ببلاد العرب " [168] ، وهكذا أدخلت بعض الجواري لوناً جديداً من ألوان الطعام إلى مكة .

ويظهر أثر الجواري واضحاً في المجتمع المكي بعد أن يلدن الأولاد ، ويبدأ هذا الأمر من الولادة مروراً بنظرة المجتمع إلى البعض منهم ، فبقدر تعلق الأمر بالولادة فهناك على ما يبدو ثلاثة أنواع من أولاد الجواري ، الأول ابن الجارية الذي يكون أبوه مالكها ولم يطأها أحد غيره، وقد كان العرب لا يلحقون أبناءهم من الإماء بنسبهم إلا إذا أدعوهم وأشهدوا أنهم ألصقوا بنسبهم، وفي بعض الأحيان لم يكن هذا الإدعاء اعتباطياً ، بل يعتمد على شخصية المولود وكفائته وهذا ما أشار إليه أبو الفرج الأصفهاني بقوله : " وكانت العرب تفعل ذلك تستعبد بني الإماء فأن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبداً" [169] ، وهناك إشارة نادرة عن هذه الحالة في تاريخ مكة وهي ما فعله يقضة بن مرة [170] عندما اعتق أبنه مخزوم [171] والنوع الثاني من أبناء الجواري فهو من نكاح السفاح ، وهو أن يطأ الرجل جارية لغيره ، فتلد منه ويدعي هو هذا الولد ، فيبقى هذا الولد عبداً لسيدها حر التصرف فيه إن شاء تملكه أو باعه أو أهداه له، وخير مثال على ذلك سفيان بن عبد الأسد [172] كانت " أمه أمة لأبن جدعان فوقع عليها عبد الأسد المخزومي فجاءت بسفيان

وكان عبداً لأبن جدعان ثم إن ابن جدعان أرسل به وبأمه إليه "[173] ، والنوع الثالث هم أولاد الجواري صاحبات الرايات ، فهم من حيث المبدأ عبيد لسيد الجارية وسلعة مربحه له [174] ، ولكن في بعض الأحيان كان يطأ الجارية منهنّ مجموعة من الأشخاص في طهر واحد، وعندما تلد ولداً يختصموا فيه ،وقد تسبب البعض من تلك الجواري بمشاكل خطيرة طالت نسب بعض الأشخاص وأثارت الشكوك حول نسبهم ، إذ كان من المتعارف لديهم أن تحكم هي في نسب الولد ويسلم الكل لحكمها ، وهذا ما أشار إليه ابن الكلبي بقوله :" ونكاح آخر يجتمعون عند المرأة من ذوات الرايات فتحمل فإذا حضر ولآدها حكموها في الولد فمن ألحقته الولد لحقه ووصله " [175]، وهنا سيكون حكمها لصالح الشخص الذي يحقق مصالحها حتى وإن كانت متيقنة من أن ملامح هذا المولود تشبه شخصاً آخر ،وهذا ما ينطبق تماماً على النابغة [176] أم عمرو بن العاص ، فقد وطأها " عدة من قريش منهم أبو لهب وهشام بن المغيرة[177] وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد فاختصم القوم جميعاً فيه كل يزعم أنه أبنه ثم ضرب عنه ثلة وأكد عليه اثنان العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب 000فحكما أمه فيه فقالت للعاص " [178]ولذلك بقيت الشبهات تحوم حول نسب عمرو بن العاص ، إذ روى ابن أبي الحديد إنه كان أكثر الناس شبها بأبي سفيان [179] .

كما كان للجواري أثر كبير في الصفات الوراثية لأبنائهن ، وهذا أمر طبيعي أثبته العلم الحديث ، إذ كان أبناء الجواري السوداوات يمتازون بسمار بشرتهم لذلك أطلق العرب عليهم أسم " أغربة العرب " [180] ، كما كان أبناء الجواري البيضاوات (الفارسيات والروميات وغيرهن) من ذوي البشرة البيضاء ، لذلك أطلق العرب عليهم أسم " الهجن" لأن الغالب على اللون العربي الأدمة [181] ، ومن الجدير بالذكر أن ابن المجاور ، وإن كان متأخراً ، قد تنبه لذلك قائلاً في وصف أهل مكة :" وهم رجال سمر لأن جلة مناكحهم الجواري السود من الحبش والنوبة "[182] .

ولم يقتصر أثر الجواري على أولادهن عند هذا الحد ، بل تعداه إلى الأثر المترتب على كون الشخص ابن جارية ، حتى وإن ألحق نسبه ، إذ إن " بني الإماء عند العرب مذمومون لا يلحقون ببني الحرائر" [183] ، وتكون الطامة أكبر إذا كانت أمه صاحبة راية، فعمرو بن العاص خير مثال على ذلك ، فعلى الرغم من كل المواصفات الشخصية التي كان يتمتع بها ، ورغم كل ما حققه على المستوى السياسي والإداري, إلا أنه كان يعاني من تاريخ والدته كثيراً، وتعرض لمواقف بهذا الخصوص ، فمثلاً المنذر بن الجارود[184]

خاطبه ذات مرة قائلاً : " أي رجل أنت لولا أمك أمك " [185] ، وكان ذلك نقطة الضعف والمثلبة التي رافقت عمرو بن العاص طول حياته ، حتى أن خصومه كانوا يدفعون مبالغ كبيرة لمن يسأله عن أمه أمام الناس من اجل إحراجه والانتقاص منه ، وهذا ما ذكره ابن أبي الحديد قائلاً : " جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمراً وهو على المنبر عن أمه"[186] وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على النقص الكبير الذي يشعربه تجاه أمه .

كما يستشف من بعض النصوص أن بعض الأسر المكية قد تأثرت بشكل أو بآخر بوجود الجواري ، فصحيح أن المرأة المكية (الزوجة الحرة) كانت لها مكانتها في الأسرة وكانت هي السيدة على من دونها من الجواري ، إلا أن بعضهن على ما يبدو لم يحصلن على حقوقهن الزوجية كاملة بسبب انشغال الرجال عنهن بجواريهم ، إذ كانت العرب تفضل الجواري على الحرائر في هذا المجال [187] ، لذلك يبدو أن ذلك الانشغال قد أحدث ردة فعل لدى بعضهن ، حتى صرنا نقرأ عن حالات الزنا لبعض النساء المكيات [188] لا سيما وأن بيوت البغاء المنتشرة في مكة لها أثرها الكبير في هذا المجال .

وكذلك القيم الاجتماعية للمجتمع المكي قد تأثرت هي الأخرى بفعل الاستغلال السيئ للجواري في مجال البغاء والغناء ، فقد كانت هناك بيوت عامرة " تسمى المواخير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهم ، وكانت بيوتاً معلومة للزنا " [189] يقصدها الرجال في ذلك العهد لسماع الغناء ومتعة الجسد وشرب الخمر ، فكانت تلك البيوت عبارة عن بؤر تبث الفساد والرذيلة فتؤثر سلبا في أخلاق المجتمع وقيمه وتقاليده ، فكان رواد تلك البيوت ينفقون أموالهم تبذيراً ،بل حتى يخلعون ملابسهم التي يرتدونها إذا لم يجدوا ما ينفقون، ولعلهم كانوا يتبارون في ذلك ،كما فعل أبو سفيان حينما خلع ملابسه على جاريتي عبد الله بن جدعان " فجعل يخلع عليهما أثوابه حتى تجرد تجرد العير " [190] ، بل ووصل الأمر إلى أن بعض هؤلاء قام بسرقة الكعبة المشرفة ، مثل ما فعل أبو لهب وبعض ندمائه ، عندما سرقوا غزال الكعبة لشراء الخمر والإنفاق على الجواري [191] كما تجاوز بعضهم حدود الآداب العامة خارج تلك البيوت ، عندما كانوا يحملون بعض جواري البغاء على أكتافهما، على مرأى ومسمع من الناس مثل ما فعل أبو سفيان " هو وعفان بن أبي العاص [192] ربما حملا جارية العاص بن وائل على أكتافهما فمرا بها على الأبطح وجلة قريش ينظرون إليهما " [193] ، وبدون شك فإن هذه الممارسات تؤدي إلى إلحاق الضرر بالقيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع المكي 0.

الخاتمة :

يتضح من خلال ما تقدم أن استخدام الجواري في مكة هو امتداد لنظام الرق الذي سمح باسترقاق الإنسان لأخيه الإنسان ، وأن الثراء الذي بلغته مكة قبل الإسلام كان من أهم العوامل التي ساهمت في استخدام أعداد كبيرة من الجواري السوداوات والبيضاوات واللاتي كن يقمن على الخدمة والمنادمة وإشباع الرغبات والقيام ببعض الأعمال المختلفة، بيد أن بعضهن استخدم كسلعة تباع وتشترى وتستثمر لتحقيق الأرباح في البغاء والغناء دون أدنى مراعاة للجانب الإنساني، لذلك انحدرت مكانتهن وحرمن من ابسط الحقوق وأغفلت المصادر أخبارهن إلا من نتف بينت أن لهن أثر واضح في مجمل البنية الاجتماعية المكية على مستوى اللغة والدين والعادات والتقاليد والأخلاق والآداب العامة ، ليس لإنكارهُ من سبيل.

الهوامش:

(1) الترمانيني ، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ،الكويت ، 1979، ص16 .

(2) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة ، وهو من أبرز قادة مكة، أستطاع أن ينتزع سيادتها من خزاعة وقسمها أرباعاً بين بطون قريش ، ونظم مختلف وظائفها السياسية والإدارية والدينية ، ينظر: ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/844م) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، 66/1-73 .

(3) للتفاصيل ينظر : برو ، توفيق، تاريخ العرب القديم ،، دار الفكر ، دمشق ،2007 ،ص32.

(4) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،، ط4 ، دار الساقي ، د0م ،2001 م ،113/7

(5) إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، 156/1 .

(6) سورة قريش/آية 1-4 .

(7) بروكلمان ، كارل ،تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير بعلبكي ، ط5 ، بيروت ، 1986م ، ص32

(8) الواقدي ،محمد بن عمر بن واقد، المغازي, تحقيق مارسدن جونس ، ط3 ، عالم الكتاب ، بيروت ، 1984، 27/1 .

(9) إبن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/933م)، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت ، 282/1 .

(10)الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت بعد سنة252هـ/861م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت ، 1966م ، 160/1 .

(11) Siddiqui , Abdul Hameed, The life of Mohammed, Dar El Fath , Beirut, 1969, p29

(12) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ، ت بعد292هـ/904م ،تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، 243/1 .

(13)أبو عثمان عمرو بن بحر ,الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ،1996م ، 5/ 328 .

(14) بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، كان من سادات قريش وكرمائها ، عقد في بيته حلف الفضول الذي حضره الرسول ﷺ ينظر : الزبيري، عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ، ت236هـ/850م، نسب قريش، عني بنشره والتعليق عليه ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ص 291-292 .

(15)ابو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد سنة 400هـ/1048م)، جمهرة الأمثال ، دار الفكر ، بيروت ، 1988م ، 133/2 ؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت538هـ/1143م)المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م ، 281/1 .

(16) أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، ت245هـ/859م المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، 1985م ، ص342 .

(17)ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)، مسند احمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة للنشر ، القاهرة ، د 0 ت ،402/4 .

(18) تحدثت تلك الايات الشريفة عن انواع من الحلي كالؤلؤ والمرجان (سورة الرحمن /اية 22)، والياقوت (سورة الرحمن /اية 58) وأنواع من الأواني الفضية كالقوارير والأكواب والكأوس (سورة الانسان / اية 15 ، 16) وانواع من الطيب كالكافور (سورة الانسان/ اية 5)، وانواع من الثياب الفاخرة كالسندس والأستبرق (سورة الدخان/اية 53)، وانواع من الأثاث المترف كالنمارق (سورة الغاشية / اية ،15)، والزرابي (سورة الغاشية / اية 16) ,والسرر (سورة الحجر / اية 47 ، سورة الصافات / اية 44 ، سورة الطور / اية 20) والأرائك (سورة الكهف / اية 31).

(19) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 158/8 .

(20) الشريف، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، د.م ،1985م ، ص248 .

(21) ابن حبيب ، المنمق ، ص59 .

(22)الشريف ، مكة والمدينة ، ص249 .

(23) لم نعثر على ترجمتها في كتب الأنساب أو التراجم التي وقعت بين أيدينا ، إذ لم تذكر تلك المصادر إن لعبد المطلب بنت اسمها هند ، ولكن هناك هند حفيدة عبد المطلب وهي ابنة المقوم بن عبد المطلب الذي توفي قبل البعثة ولم يكن له عقب (ذكور) وانما كانت ذريته بنات منهن هند التي تزوجها عبد الله بن مسروح، ينظر :ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، 1 /422 ؛ البلاذري ، انساب الأشراف ، 3/ 395 ، ونحن لا نعلم هل حدث تصحيف في كتاب الجاحظ ، أم إن الجاحظ كان يقصد هند بنت المقوم .

(24) الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994م، ص51 .

(25) بن أمية المعروف بأبي أحيحة ، كان ذا شرف ومال في مكة ، وهو من المعاندين للرسول ﴿ ﷺ ﴾ ، توفي في الطائف كافراً سنة 2 هـ ، ينظر : البلاذري ، أنساب الأشراف ، 1 /141-142 .

(26) المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م) الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف, بيروت، د.ت ، 73/ 2

(27) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 14 /145 .

(28) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ،تحقيق عبد الله القاضي ،ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ ، 1 /449.

(29) أخبار مكة، 270/3 .

(30) ينظر على سبيل المثال : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 267/8 ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص421-422 ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، 259/4 ؛ ابن أبي الحديد ، ، شرح نهج البلاغة ، 12 /39 .

(31)الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، 304/2-305 ؛ ابن الأثير، الكامل ، 2/ 237 .

(32) للتفاصيل عن حروب قريش ينظر : سلامة ، عواطف أديب علي ، قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ ، الرياض ، 1994م ، ص203 وما بعدها .

(33) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م) معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1979م ، 5 /183 .

(34)أبو منصور عبد الملك بن محمد ، ت429هـ/1038م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965م ، ص11 .

(35)سلامة ، قريش قبل الإسلام ،ص210 .

(36) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 142/14 .

(37) وهو من أسواق العرب المعروفة في الجاهلية ، للمزيد من التفاصيل عنه ، ينظر، حمور، عرفان محمد، سوق عكاظ ومواسم الحج ، بيروت ، 2000م ، ص 10 وما بعدها .

(38)إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، 497/1 .

(39) ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص39 ؛ ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، ت209هـ/ 824م، الأعلاق النفيسة، ليدن مطبعة بريل, 1891م ، ص215 ؛ الخوارزمي، جمال الدين أبي بكر محمد بن العباس ، ت383هـ/993م ، مفيد العلوم و مبيد الهموم ، دار التقدم, ، القاهرة ، 1906م ،ص329.

(40) مثالب العرب ، ص39 .

(41)مثالب العرب ، ص46-47 .

(42) المنمق ، ص503-504 .

(43) مثالب العرب ، ص148 .

(44) ينظر على سبيل المثال : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 121/4 ؛ الزبيري ، نسب قريش ،ص91 ؛ وكذلك ص254 ؛ البلاذري ، انساب الأشراف ،9/ 356 ؛ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص211 .

(45) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ت427هـ/1035م ، تفسيره الكشف والبيان ، تحقيق أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 2000م ، 219/10 ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، 136/7 .

(46)ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص62 ؛ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، 101/4 .

(47) مثالب العرب ،ص148.

(48) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(49) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ،7/118-119 .

(50) ابن حبيب ، المنمق ، ص381 .

(51)مسند احمد بن حنبل ، 3/ 321 .

(52) وأسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف ، كان شاعرا ومطلعاً على الديانات الأخرى ، وكان يطمح ان يكون نبي العرب ، ولكن بعد ان أكرم الله ﷻ الرسول﴿ ﷺ﴾ بالنبوة حسده ونصب له العداء ، ينظر : أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، (ت356هـ/976م)، الأغاني ، تحقيق علي مهنا و سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، 4/127-139 .

(53) ابو الفرج ، الأغاني ، 341/8 .

(54) مسلم ، صحيح مسلم ، 3 /1375 .

(55)الصنعاني ،أبو بكر عبد الرزاق بن همام ، ت211هـ/826م ، المصنف (مصنف عبد الرزاق الصنعاني) ،تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت،1403هـ ، 132/7 .

(56)ابن ابي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي ، ت235هـ/849م ،المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن ابي شيبة) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، 1409هـ ، 518/5 .

(57) جمع ما خور بيوت البغاء و مجلس الريبة ومجمع أهل الفسق والعناد وبيوت الخمارين ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 161/5 مادة (مخر) .

(58)ابن الكلبي، مثالب العرب ، ص39 ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، 73/18 ؛ ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، 215 .

(59) مولاة الرسول﴿ ﷺ ﴾ وحاضنته، تزوجها عبد بن زيد فولدت منه أيمن صاحب الرسول﴿ ﷺ ﴾ وبعد وفاته تزوجة زيد بن حارثة فولدت إسامة ، ، توفيت في خلافة عثمان بن عفان ، ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 223/8-226 .

(60) الطبقات الكبرى ، 497/1 .

(61) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، 257/2 .

(62) البلاذري ، انساب الأشراف ، 196/1-197 ؛ابن الأثير ، الكامل ، 591/1 .

(63) البخاري , صحيح البخاري، 21/6-13 .

(64) بن قصي بن كلاب ، زوجة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ص280 .

(65)ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص28 .

(66) ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، د.م ،1976م ، 224/1 .

(67) الأغاني ، 8/ 341 .

(68) الترمانيني ، الرق ، ص50 .

(69) ذكر ابن سعد في ترجمة النهدية قائلاً " النهدية وابنتها وأم عبيس وزنيره أسلمن بمكة قديماً وكنّ ممن يعذبنّ في الله فاشتراهنّ أبو بكر الصديق " ينظر : الطبقات الكبرى، 255/8 .

(70) الطبقات الكبرى، 255/8 .

(71) ابن حبيب ، المنمق ، ص342 .

(72)ابن بكار ، الزبير ، ت256هـ/869م ، جمهرة نسب قريش ، وأخبارها تحقيق محمود شاكر، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1381هـ ، ص91 .

(73) ابن منظور ، لسان العرب ، 77/14 مادة (بغا) .

(74) ابو علي القالي ، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت356هـ/976م)، الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م ، 279/2 .

(75)يوسف بن يعقوب ، ت690هـ/1291م، تاريخ المستبصر ، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1996م. ، قسم1 ،ص17 .

(76) ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ، ت542هـ/1147م ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993م ، 299/5.

(77)ابن كثير ، البداية والنهاية ، 241/2 .

(78) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 133/9.

(79) ينظر : ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص18-19.

(80) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القران ،83/8 .

(81) الفخر الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ،ت606هـ/1209م ، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000م ،79/10 .

(82) الحوفي ، أحمد محمد ، المرأة في الشعر الجاهلي ،، ط2 ، دار الفكر العربي ، بيروت، د. ت، ص509 .

(83) سورة النور /33 .

(84)الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القران ، 18 /133 ؛ الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، 192/23.

(85) الخوارزمي ، مفيد العلوم ، ص329 ؛ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص215.

(86) مثالب العرب ،ص39 .

(87) جامع البيان عن تأويل آي القران ،72/18 .

(88) مثالب العرب ،ص22–26 .
(89) لم يرد في تراجم صاحبات الرايات اللآتي سوف يرد ذكرهن في المتن أكثر من اسمها وإنها صاحبة راية والشخص الذي يملكها ،لذا سنكتفي بترجمة أصحابهن .
(90)بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتل السائب في معركة بدر كافراً، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ، 212/10 .
(91) بن خلف بن وهب بن حذافة بن عمرو الجمحي ،وهو يعد من مسلمة الفتح ، هاجر إلى المدينة إلا ان الرسول﴿ ﷺ ﴾ أمره بالرجوع لمكة ، بقي فيها حتى وفاته ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ص386–388 .
(92) بن هاشم بن سعيد الجمحي ، كان من أشد الناس عداءً للرسول ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ، 276/10–277 .
(93) بن قصي بن كلاب ،ولم يذكر الزبيري في ترجمته أكثر من اسمه وأسماء أبنائه ، ينظر : نسب قريش ، ص256 .
(94)بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك من بني عامر بن لؤي ، كان من سادات قريش وخطبائها وأثريائها ، اسلم يوم فتح مكة ومات في طاعون عمواس في بلاد الشام ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ،11/8–13 .
(95) بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، أمه قلابة بنت عمر بن عبدالله ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ص332–333 .
(96) بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ،قتل يوم بدر كافراً ، ينظر: البلاذري ،انساب الأشراف ،9 / 458 .
(97)بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، كان ممن يصل بني هاشم في حصار الشعب ، وهو أول من نقض صحيفة قريش التي حاصرت بموجبها بني هاشم ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ،11 / 18–19 .
(98) ولم أعثر له على ترجمه أكثر من هذه .
(99) جامع البيان عن تأويل آي القران ، 18 /73 .
(100)الدوسية لها ذكر في الجاهلية ، أدركت الإسلام ، وأجارت مجموعة من قريش عندما حاول قوم من دوس قتلهم بدم قديم في الجاهلية ، ينظر : ابن حجر ، الإصابة ، 8/ 273 .
(101) ابن هشام ، السيرة ، 2/ 262 .
(102) بن أبي العاص بن أمية ، أسلمت يوم فتح مكة ، وتزوجت الحكم بن كيان ، ينظر : ابن حجر ، الإصابة، 109/2
(103)ابن حجر ، الإصابة ، 109/2 .
(104) بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، بنت أخي ورقة بن نوفل ، وهي زوجة المغيرة بن أبي العاص ، كانت من المهاجرات ، ينظر : ابن حجر ، الإصابة ، 536/7 .
(105) ابن حجر ، الإصابة ، 536/7 .
(106) بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي ، كان والده قينا يعمل السيوف في الجاهلية ، وقد تعرض للسبي وبيع بمكة ، وخباب له قدم في الإسلام وقد عذب كثيرا، توفي سنة 37هـ في الكوفة ، ينظر: ابن عبد البر، الإستيعاب، 438/2 .
(107) مثالب العرب ، ص41 .
(108) ابن منظور ، لسان العرب ، 9 /50 مادة (حفف) .
(109) وجل ما ذكر في ترجمتها إنها ماشطة خديجة وإنها عجوز سوداء ، ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، 362/7 .
(110)ابن الأثير ، أسد الغابة ، 362/7 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، 8 /211 .
(111) الطبري ، تاريخ الرسل ، 2 /169 .
(112) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 186/5 .
(113)ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل ،66/2 ؛ أبو الفرج ، الأغاني ،188/15 ،وشريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي حليف بني زهرة وهو والد الأخنس بن شريق ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ، 437/13 .
(114)بن نضلة بن عمرو بن غبشان الخزاعي يكنى أبا نيار ، حليف بني زهرة ، قتله حمزة بن عبد المطلب في معركة ، أحد ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ، 385/4 .

(115) ابن حبيب ، المنمق ، ص295 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، 66/2 .
(116) الجاحظ ، رسائل الجاحظ (رسالة القيان) ،158/2 .
(117) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : الأسد ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، دار بيروت ، بيروت، 1960م .
(118) زعيم قبيلة العماليق في زمانه ، ولم اعثر على ترجمه له غير هذه ، ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، 126/1.
(119)ابن عبد ربه ، العقد الفريد، 35/6 .
(120) البابطين ، الحياة الإجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ص197 .
(121) بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، كان من اشد الناس عداوة للنبي﴿ ﷺ ﴾ ، كان مغنياً مشـــهوراً تعلم الغناء والضرب على العود في الحيرة ،قتل في معركة بدر ، ينظر: البلاذري ،انساب الأشراف ،142/1-143.
(122) الكشاف ، 3 /497 .
(123)الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ،ص565 .
(124) الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ،581 .
(125) بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص ، من رجالات قريش البارزين ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش، ص402-403 .
(126) لم اعثر في ترجمتيهما على أكثر من كونهما قينتا مقيس بن عبد قيس.
(127) المنمق ،ص54-55 .
(128) بن عبد مناف بن سعد بن جابر بن كبير التيمي ، قتل يوم فتح مكة ، وهو الذي قال فيه رسول الله﴿ ﷺ ﴾ من لقي ابن خطل فليقتله وإن كان متعلق في استار الكعبة ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ،11 / 41 .
(129) ولم اعثر في ترجمتيهما أكثر مما موجود في المتن .
(130) المغازي ، 2 /860 .
(131) مفيد العلوم ومبيد الهموم ،ص279 .
(132) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ،كناه النبي ﴿ ﷺ ﴾ أبا جهل لأنه كان يكنى أبا الحكم ، كان من أشد المعادين للدعوة الإسلامية ، قتل يوم بدر كافراً ، ينظر : البلاذري ، انســـاب الأشـــراف ، 125/1-130 .
(133) بن وهب بن حذافة الجمحي ،كان من المعاندين لرسول الله﴿ ﷺ ﴾ قتل يوم بد كافراً ينظر : الزبيري، نســـب قريش ، ص386-387 .
(134) بن أسد بن عبد العزى يكنى أبا زمعة ، كان من المستهزئين بالرسول﴿ ﷺ ﴾ توفي بمكة عندما كان المشركون يتجهزون لأحد ، وكان يحثهم على ذلك ، ينظر : البلاذري ،انساب الأشراف ، 1 /148-149.
(135) المغازي ، 43/1 .
(136) ابن هشام ، السيرة ، 166/3 .
(137) عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـــ/1405م) ،المقدمة ، ط5 ، دار القلم بيروت ، 1984 م ، ص412 .
(138) وهي زوجة أبي رافع مولى رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وأم أولاده ، لذلك كان يقال لها مولاة رسول الله ، وقد شهدت خيبر مع الرسول ، وهي التي غسلت فاطمة عليها السلام مع أسماء بنت عميس ، ينظر : ابن عبد البر ، الإستيعاب ، 1862/4 .
(139) بن هاشم وهي أخت الحمزة لأمه ، تزوجها الحارث بن حرب بن أمية ، ثم خلف عليها العوام فولدت له الزبير ، أسلمت وبايعت وهاجرت إلى المدينة ، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب ، ينظر : ابن سعد ، الطبقـــات الكبـــرى ، 41/8-42 .
(140)الطبقات الكبرى ، 8 /227 .

(141) وهي جارية الرسول ﴿ ﷺ ﴾ كان قد بعث بها المقوقس حاكم الأسكندرية هي وأختها سيرين كهدية إلى الرسول، اعتقها بعد ولادة ابنها إبراهيم سنة 8 هـ، توفيت سنة 16 هـ ، ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/212-215.

(142)ابن عبد البر ، الإستيعاب ، 4/1812 ؛ابن كثير ، السيرة ، 4/647-648 .

(143) المنمق ، ص295 .

(144) الأغاني ، 4/304 .

(145)انساب الأشراف ، 1/375 .

(146) وهي جارية أبي لهب وقد اختلف في إسلامها ، وكان الرسول﴿ ﷺ ﴾ يصلها بمكة وكانت خديجة تكرمها ، وبعد هجرت الرسول اعتقها أبو لهب ، توفيت سنة 7هـ ، ينظر : ابن عبد البر ، الإستيعاب ، 1/28 ؛ابن حجر الإصابة ،7/548 .

(147) بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة السعدي ، زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة، مرضعة الرسول﴿ ﷺ ﴾ ، ينظر : ابن عبد البر ، الإستيعاب ، 4/1812-1813 ؛ ابن الأثير ، إسد الغابة ، 7 /76-77 .

(148) ذكر ابن حجر في ترجمة ثويبة ، إنها قد توفيت سنة 7هـ ،وان إبنها مسروح مات قبلها ، ينظر : الإصابة ، 7/548 .

(149) عبد الله بن بن عبد الأسد بن هلال المخزومي يكنى أبا سلمة ، وهو ابن عمة الرسول﴿ ﷺ ﴾ أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ، توفي زمن الرسول إذ أشرف على جنازته ، ينظر : ابن الأثير ، إسد الغابة ، 3/299-301 .

(150) الطبقات الكبرى ، 1/108 ، وينظر باختلاف الألفاظ الطبري ، تاريخ الرسل ، 1/454 .

(151) بن عبد المطلب بن هاشم ، امه فاطمة بنت أسد ، يكنى بأسم إبنه عبد الله ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ، قدم المدينة سنة سبعه هجرية ، استشهد في معركة مؤته ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 4/34-41 .

(152) تاريخ اليعقوبي ، 2 /9 .

(153)وهم بنو سعد بن لؤي بن غالب بن فهر ، للتفاصيل عن نسبهم ينظر : الزبيري ، نسب قريش ،ص441-442 .

(154)أنساب الأشراف ، 1 /44-45 .

(155)ابن سعد ، الطبقات الكبرى، 8 /223 ؛ وينظر باختلاف الألفاظ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، 1 /96.

(156) المفصل في تاريخ العرب، 7 /120؛وينظر باختلاف الألفاظ؛عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ص159

(157)جمع مولدة وهي الجارية المولودة بين العرب ، ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، 3/469 مادة (ولد).

(158)عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص159 .

(159) الأغاني ، 17 /170 .

(160) مسالك الأبصار ، 10/168-169 .

(161) Famer , Henry George, History of Arabian Music ,London ,1929, p .12 .

(162) المفصل في تاريخ العرب ، 9 /118 .

(163)الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص566 .

(164) السهيلي ، الروض الأنف ، 1/287 .

(165) مثالب العرب ، ص148 .

(166) المحبر ، ص35-36 .

(167) وهو نوع من أنواع الحلويات ، وهي مفردة فارسية معربة ينظر : الجواليقي ، المعرب، ص480 .

(168) المستقصى في أمثال العرب ، 1 /281 .

(169) الأغاني ، 8 /244 .

(170) بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة القرشي ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ص10-14 .

(171) ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص21 .

(172) بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ينظر :ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص143-144.
(173) ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص59 .
(174)الخوارزمي ، مفيد العلوم ، ص329 ؛ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص215 .
(175) مثالب العرب ، ص36 .
(176) جارية لرجل من قبيلة عنزه اشتراها عبد الله بن جدعان وكانت مشهورة بالبغاء ، ينظر : الزمخشري ، ربيع الأبرار، 275/4 .
(177) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، من رجالات بني مخزوم الأغنياء والمشهورين ، وهو والد (أبو جهل) عمرو بن هشام ، ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص144-145 .
(178) ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص23-24 ؛ وينظر باختلاف الألفاظ : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 47/1 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 275/4 ؛ ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، 283/6 .
(179) شرح نهج البلاغة ، 6 /283 .
(180) ابن منظور ، لسان العرب ، 646/1 مادة (غرب) .
(181) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 /432 مادة (هجن) ؛ والأدمة : السمرة المشربة ببياض، ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، 12 /11 مادة (أدم) .
(182) تاريخ المستبصر ، ص15 .
(183) ابن منظور ، لسان العرب ، 12 /30 .
(184) بن حنش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن ثعلبة بن جذيمة العبدي ، ولاه الإمام علي(عليه السلام) أصطخر ، يروى إنه توفي سنة 62هـ ، ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص296 ؛ ابن حجر ، الإصابة ، 6 /264 .
(185) ابن أبي الحدبد ، شرح نهج البلاغة ، 284/6 .
(186) شرح نهج البلاغة ، 284/6 .
(187) ابن عبد ربه ، طبائع النساء ، ص97.
(188) للتفاصيل ينظر : ابن الكلبي ، مثالب العرب ، ص24-26 .
(189) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القران ،72/18 .
(190) ابن أبي الحدبد ، شرح نهج البلاغة ، 18 / 130 .
(191) للتفاصيل عن هذه الحادثة ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص59-64 .
(192) بن أمية الأكبر بن عبد شمس الأموي القرشي ، وهو والد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ص100-101 .
(193) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 18 / 130 .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م)

1- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت ،

2-الكامل في التاريخ،تحقيق عبد الله القاضي ،ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ .

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت بعد سنة252هـ/861م)

3- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت، 1996م .

الأسد ، ناصر الدين

4-القيان والغناء في العصر الجاهلي ، دار بيروت ، بيروت، 1960م .

البابطين ، ألهام احمد
5-الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ، جامعة الملك سعود ، الرياض، 1998م .
البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي ، ت256هـ/869م
6-الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1987م.
برو ، توفيق
7- تاريخ العرب القديم ، دار الفكر ، دمشق ،2007 .
بروكلمان : كارل
8- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير بعلبكي ، ط5 ، بيروت ، 1986م .
ابن بكار ، الزبير ، ت256هـ/869م
9-جمهرة نسب قريش وأخبارها تحقيق محمود شاكر، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1381هـ .
البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)
10- أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، 1959م .
الترمانيني ، عبد السلام
11- الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ،الكويت ، 1979
الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، ت429هـ/1038م)
12- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة، 1965م.
الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ت427هـ/1035م
13- تفسيره الكشف والبيان ، تحقيق أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000م .
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)
14- الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ،1996م .
15-رسائل الجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1964م .
16-المحاسن والأضداد ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994م.
الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر ، ت540هـ/1145م
17-المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق الدكتور ف. عبد الرحيم ، دار القلم ، دمشق ، 1990 .
ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، ت245هـ/859م
18- المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، 1985م .
ابن الحجاج ، مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت261هـ/874م
19- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1449م)
20-الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م.
ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، ت656هـ/1258
21-شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العلمية ، بيروت ، 1962م
ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، ت456هـ/1063م
22- جمهرة أنساب العرب ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .
ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)
23-مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة للنشر ، القاهرة ، د. ت.
الحوفي ، أحمد محمد
24- المرأة في الشعر الجاهلي ، ط2 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د. ت.
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (808هـ/1405م)
25-المقدمة ، ط5 ، دار القلم بيروت ، 1984 م.
الخوارزمي ، جمال الدين أبي بكر محمد بن العباس ، ت383هـ/993م
26-مفيد العلوم ومبيد الهموم ، دار التقدم ، القاهرة ، 1906م .
ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/933م)
27-الإشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ت .
ابن رسته: أبو علي احمد بن عمر ، ت209هـ/ 824م
28-الأعلاق النفيسة، ليدن مطبعة بريل ، 1891م.
الزبيري ، عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ، ت236هـ/850م
29- نسب قريش، عني بنشره والتعليق عليه ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف ، القاهرة ، د0ت
الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت538هـ/1143م)
30-ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، 1992م .
31-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
32-المستقصى في أمثال العرب ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م .
ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/844م)
33-الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
سلامة ، عواطف أديب علي
34-قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ ، الرياض ، 1994م .
السهيلي ، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ، ت581هـ/1185م
35- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، قدم له وعلق عليه مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

الشريف ، أحمد إبراهيم
36- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، د0م ،1985م .
ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي ، ت235هـ/849م
37- المصنف في الأحاديث و الآثار ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، 1409هـ.
الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام ، ت211هـ/826م
38- المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت،1403هـ .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)
39-تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
40-جامع البيان عن تأويل آي القران ، دار الفكر ، بيروت ، 1405هـ .
ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ/1070م)
41-الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412هـ .
ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد (ت328هـ/1011م).
42-طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القران، القاهرة ، د.ت.
43-العقد الفريد ،ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1999م .
ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ، ت542هـ/1147م
44- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993م .
علي ، جواد
45-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط4 ، دار الساقي ، د0م ،2001 م .
أبو علي القالي : إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت356هـ/976م)
46-الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م .
العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت749هـ/1348م
47- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1423هـ .
عوض الله ، السيد أحمد أبو الفضل
48- مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ط2 ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1980م.
الفاكهي : أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العياش (ت 275هـ/888م)
49-أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش ، ط2 ، بيروت ، 1414هـ.
الفخر الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر ،ت606هـ/1209م
50- التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000م .

أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، (ت356هـ/976م)
51- الأغاني ، تحقيق علي مهنا و سمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت276هـ/889م
52-عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1996 .
ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م)
53-البداية والنهاية في التاريخ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د. ت .
54-السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، د.م ،1976م .
ابن الكلبي ، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب ، ت204هـ/819م
55-جمهرة النسب ، تحقيق محمود فردوس العظم ، ط2 ، دار اليقضة العربية ، دمشق ، د.ت
56-مثالب العرب ، تحقيق نجاح الطائي ، دار الهدى ، بيروت ، 1998م .
المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م)
57-الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ت .
ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب ، ت690هـ/1291م
58- تاريخ المستبصر ، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1996م.
ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1131م)
59-لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت213هـ/828م
60- السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، 1411هـ .
أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد سنة 400هـ/1048م)
61-جمهرة الأمثال ، دار الفكر ، بيروت ، 1988م .
الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، ت207هـ/822م
62- المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، ط3 ، عالم الكتاب ، بيروت ، 1984 .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)
63-معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1979م .
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ، ت بعد292هـ/904م
64- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
Famer , Henry George.
65- History of Arabian Music ,London ,1929 .
Siddiqui , Abdul Hameed
66-The life of Mohammed , Dar El Fath , Beirut, 1969 .

Research Summary

This research is about "The female slaves in Mecca before Islam". It tries –as much as possible- to highlight this segment of society and its role in forming the history of Mecca before Islam. It shows the nature of the female slaves conditions, the races that they came from and the Meccan society attitude towards them, taking into account that Mecca had large numbers of female slaves that were owned by the lords of Mecca as a result of their richness. It shows the role of this segment of society in the public life through the multiple functions that it had. It explains in details its effect on the Meccan society in the fields of language , religion, family life and the social values.